خطاب الموت في شعر المتنبي بين التقليد وامارة الغايات العليا

ثائر سمير حسن الشمري
جامعة بابل / كلية التربية الأساسية

كان الموت وما يزال واحداً من ابرز القضايا التي تشغل فضاءً واسعاً من تفكير الانسان، كونه يمثّل خاتمة الحياة لكلّ مَن يعيش في الدنيا، ولاسيما أنّه على تماس مباشر مع الأحياء، فهو يغتال النفوس كلّ يوم ولأسباب متنوعة، ونحن على مسمع منه ومرأى، فضلاً عن كونه رمزاً مهماً في ديننا الاسلامي، وذلك ما أكّدَه لنا القرآن الكريم بصور متعددة [1]، ولا سيما أنّه أمرٌ لا مفرّ منه؛ لأنه يدرك الانسان أينما ذهب،ومهما بلغ من العمر عتيا.

ويبدو أنّ الخوف من اللامعلوم وقرب الانسان منه يؤدي به الى ازدياد الاهتمام بالموت[2]،((فالانسان من قديم حريص على الخلود كَلِفٌ بمصارعة الزمان، يريد جهد استطاعته أنْ يؤكّد ذاته وسط سيله القوي الجارف اللانهائي)) [3]، لذا فحرص الانسان على البقاء حيًّا جعله مهتماً بقضية الموت اهتماماً كبيراً، اذ نال ذلك الاهتمام جزءاً كبيراً من وقته وتفكيره، على الرغم من قناعته بحتمية الموت، فكلّ انسان((يتوقع الموت خاتماً للحياة، ولكنه يحرص جاهداً أن يظلّ حيًّا ومن أعزّ أمانيه بل أغلى آماله أن يطول عمره أكثر فأكثر. وكلّما تقدم به العمر ازداد المرء رغبة في الحياة)) [4] .

وبما أنّ الشعراء ينمازون بكونهم أكثر قدرة على الاحساس بالقضايا الكبرى من الناس الاعتياديين، وجدنا الشعراء العباسيين شغلوا مساحات كبيرة من دواوينهم للحديث عن الموت بشتى صوره، خوفاً وزهداً وحكمة، وما الى ذلك[5]، ولاسيما أنّهم أكثروا من ذكره في غرض الرثاء كما هو معروف.

إلّا أنّ خطاب الموت في شعر المتنبي جاء مختلفاً عن خطابه لدى الشعراء الآخرين كما سنرى، فهو لم يخشَ قدومه من جهة، وأفاد منه في دلالات مختلفة من جهة ثانية، فقد استثمره في أغراض تقليدية متعددة كالمديح والرثاء والحكمة والغزل والفخر والهجاء وغيرها، فضلاً عن استثماره بوصفه دليلاً على تحقيق الغايات العليا والأهداف المنشودة، وهذا الاستثمار الأخير هو مايُعنى به بحثنا بالدرجة الأساس.

ولابد لنا قبل الدخول الى مضمون البحث الرئيس، من وقفة على ما جاء في شعر المتنبي من دلالات مختلفة للفظة الموت في أغراض شعره المتعددة، بدءاً من أكثرها وروداً الى أقلها وهكذا، ثم ننتقل الى ارتباط لفظة الموت في شعره بتحقيق ما كان يصبو الى انجازه من الأهداف العليا والطموح المشروع، في استنهاض الهمم التي أصابها الشلل في وقت كان للاعاجم فيه السلطان الأقوى في المجتمع العربي.

وعلى الرغم من تعدّد أسماء الممدوحين في ديوان أبي الطيب، منذ أنْ ابتدأ المديح في صباه حتى آخر ممدوح التقاه، وأعني (عضد الدولة)،فاننا نجده يستثمر لفظة الموت في كثير من المدائح التي توجّه بها اليهم،طوال المدة ما بين صباه ومقتله، لذا نرى أنه لاحاجة لذكر أسماء الممدوحين في اثناء رصد تلك المدائح التي انمازت باستثمار اللفظة هذه في مدحهم،والاكتفاء بالكلام على طبيعة تلك المدائح، وكيف أنّ الشاعر أبدع في الافادة من لفظة مرهوبة،معيداً صياغتها بما يضفي جوًّا من السرور والزهو على ممدوحيه،غير أننا سنذكر بعض اسماء أولئك الممدوحين حين تقتضي الضرورة ذكرهم.

فممدوح المتنبي الذي يضيء وجهه كالبدر في ظلمة الليل، دلالة على حسنه،يحمل الموت معه على أعدائه حين يصول عليهم، بوصف الموت أحد أعوانه:

يلوح بدر الدجى في صحن غرته ويحمل الموت في الهيجاء إن حملا[6]

وكثيراً ما كان الشاعر يردد المعنى السابق نفسه في مدائحه، على الرغم من اختلاف الممدوحين والزمن معاً، ولكن مع الاحتفاظ بجودة الصياغة وقوة المعنى الذي تحتويه الصورة التي يفتخر بها الممدوحون، ومن ذلك مثلاً، أنّ الموت يكون مُبالِغاً في طاعة ممدوح الشاعر الى الدرجة التي يقتل فيها مَن لم يات أجله بعد من أعدائه إذا ما طلب منه الممدوح فعل ذلك:

يكاد من طاعةِ الحِمامِ له يقتل من ما دنا له أجل[7]

كما أنّ الموت حريص على تنفيذ أمر الممدوح دوماً، فيتوقف عن قتل أعدائه إذا ما أمره بالتوقف، ويستأنف قتلهم مرة أخرى حين يأمره بالعودة لقتلهم:

تغدو المنايا فلا تنفك واقِفةً حتى يقول لها عودي فتندفِع[8]

وحين يغيب الممدوح لبعض الوقت عن أعدائه، في كناية عن عدم غزوه لهم، فان المنايا تغيب عنهم هي الأُخَر، فلا يموتون حينئذٍ، ولكنها تعود إليهم فتهلكهم حين يعود الممدوح الى غزوهم من جديد:

تغيب المنايا عنهم وهو غائب وتقدم في ساحاتِهم حين يقدم[9]

وبما أنّ الموت يطيع الممدوح الى الدرجة هذه، فلِمَ لايجعله الشاعر ممطراً للمنايا على أعدائه؟ فضلاً عن الحياة، في الوقت الذي لايكون فيه بارقاً ولا راعداً:

وممطِر الموتِ والحياةِ معاً وأنت لابارِق ولا راعِد[10]

وفي بعض الأحيان يجعل أبو الطيب ممدوحه أخاً للموت، في كناية عن شدّة بأسه وقوّته، فاذا ما شابهه الرجال في شجاعته تلك، فان القتل سيعم ويزداد انتشاراً، ويهلك مَن في الأرض جميعاً، نتيجة ذلك الاقتتال المستمر:

رأيت ابن أم الموتِ لو أن بأسه فشا بين أهلِ الأرضِ لانقطع النسل[11]

ثم إنّ المتنبي ينصح مَن يشكّك بمقدرة ممدوحه القتالية أنْ يسأل عن شجاعته تلك، ليعرفها عن طريق السماع، ويحذّره في الوقت نفسه من المواجهة معه، لأنّ مصيره سيكون الهلاك حتماً، فيما لو واجه ممدوحه مواجهة قتالية، ثم يؤكد صدق زعمه؛ في محاولة لاقناع ذلك المشكّك، بوساطة ضرب المثل عن طبيعة الموت، الذي يُعْرَفُ بالوصف لا بالتجربة؛ لأننا لم نجد أحداً مات سابقاً ثم عاد ليخبرنا عن حقيقة الموت، يقول:

سل عن شجاعتِهِ وزره مسالماً وحذارِ ثم حذارِ منه محارِبا

فالموت تعرف بالصفاتِ طِباعه لم تلق خلقاً ذاق موتاً آيبا[12]

وتكمن مقدرة الشاعر المبدع في طريقة النظم الشعري، ولاسيما حين يفيد من لفظة تحتوي دلالة سلبية كلفظة الموت، فيحولها بموهبته الى دلالة ايجابية، كما فعل ابو الطيب في المدائح السابقة، ولابدّ أنّ القارئ يشعر بذلك التفوق، فالمتذوق ((يلزمه أنْ يبذل من الجهد ما يكافئ جهد الفنان))[13]، أوحين يجعل تلك اللفظة التي يغتال مفهومها النفوس ذات طبيعة مخالفة مع ممدوحه؛ إذ يكون الموت فداءً للممدوح، فهو الذي يموت، ويفدي بموته ممدوح المتنبي، ويأتي ذلك عن طريق الدعاء، كما هو واضح في قوله:

ولك الزمان مِن الزمانِ وِقايةً ولك الحِمام مِن الحِمامِ فِداء [14]

ويتعجب الشاعر من ممدوحه؛ لأنّ قلبه لايخشى الموت، بمقدار خشيته من العار الذي لو لحقه لكان أشدّ عليه من الهلاك، فيقول:

للهِ قلبك ما يخاف مِن الردى ... ويخاف أن يدنو إليك العار[15]

غير أنّ الشاعر يُكثِرُ من استثمار ألفاظ الموت في اثناء مدحه احدى الشخصيات ، ولاسيما اذا كان (سيف الدولة الحمداني) ، فنراه يورد تلك الألفاظ في أبيات متتالية، في الوقت الذي يتضمن فيه كلّ بيت منها دلالة جديدة تختلف عن الدلالة التي سبقتها في البيت الآخر، إلّا أنّها تشترك في كونها دلالات مدحية، ولكن بمعانٍ مختلفة، فحين يموت أعداء الممدوح موتاً طبيعياً وليس تحت رماحه، فان ذلك يجعله مستاءً؛ كونه على يقين بأنه سيظفر بهم لولا تعجّل الموت اليهم، فهو شريك المنايا يتقاسمان القتل فيما بينهما، فاذا ما مات أحد من دون أنْ يقتله هو بسيفه، فانّ المنايا تكون قد خانته في ذلك ، فضلاً عن أنّ المتنبي يرى أنّ الدولة إذا كانت قسماً لبعض الناس ، فانها قسمة مَن حضر الحرب وورد الموت الزؤام من دون خوف أو تردّد، ولاشكّ في أنّه يقصد بذلك ممدوحه سيف الدولة :

يغم عليا أن يموت عدوه ... اذا لم تغله بالأسِنةِ غول

شريك المنايا والنفوس غنيمة ... فكل مماتٍ لم يمتِه غلول

فإن تكن الدولات قِسماً فإنها ... لِمن ورد الموت الزؤام تدول[16]

ويبدو أنّ اعجاب المتنبي الشديد بممدوحه (سيف الدولة الحمداني) ، هو ما جعله متحمّساً في طريقة مدحه، والدليل على ذلك هو أنّ أكثر الأبيات التي استثمر فيها لفظة الموت في المدائح كانت لممدوحه هذا من دون سواه، ممّا يؤكّد صدق شعوره تجاهه، فلا بدّ ((أنْ يتوافر في التجربة صدق الوجدان فيعبِّر الشاعر فيها عمّا يجده في نفسه ويؤمن به))[17]، لذا فهو يصور شجاعة ممدوحه دوماً ، فيرى أنه عندما يقف في ساحة المعركة فكأنه واقف في قلب الموت؛ لشدّة القتال، حتى كأنه في جفن الردى وهو نائم عنه، أي فيسلم من الموت، وذلك في قوله:

وقفت وما في الموتِ شك لواقِفٍ ... كأنك في جفنِ الردى وهو نائِم[18]

ولذلك كله نجد سيف الدولة – بنظر شاعره – ليس مِمَّن يعشقون النوم، فهو صاحب حرب وجود ، فيقتل أعداءه بسيفه، ويُحيي أولياءه بكرمه:

لنا ملِك لايطعم النوم همه ... مماتٌ لِحيٍ أو حياةٌ لِميت[19]

وكون الممدوح يتحلّى بتلك الشجاعة، فان الناس يسارعون بالهرب منه حين يكون غاضباً عليهم ، لفعل سيئ فعلوه ولايرغبون بتلبية ندائه حين يطلبهم ،وعدم تلبية ذلك النداء مصدره خوفهم الشديد منه، وليس تمّردهم عليه كما بيّن ذلك المتنبي لممدوحه في اثناء كلامه على ما فعله بعض مَن حاول الخروج عن طاعة سيف الدولة، فهربهم كان نتيجة خوفهم من مواجهته لئلّا يقتلهم، فهم معذورون لدى الشاعر الذي يقول في ذلك:

وما تركوك معصِية ولكِن ... يعاف الوِرد والموت الشراب[20]

وحين يمدح المتنبي كافوراً، يرى أنه دافع عن (علي بن الاخشيد) صاحب مصر، حين كان طفلاً، وذاد عنه الرماح بنفسه، لذا فهو شجاع بحيث يهرب من العار الى الموت في الحرب، أي أنّه يفضل الموت على الهزيمة، يقول:

لقيت القنا عنه بنفس كريمة ... الى الموت فى الهيجا من العار تهرب[21]

وقد يستخدم الشاعر لفظة الموت استخداماً مجازياً في بعض مدائحه، للتعبير عن شجاعة ممدوحه، تلك الشجاعة التي تجعل الخوف ثائراً في نفوس أعدائه فيضطربون أمامه، فكأنهم – بذلك – يموتون خوفاً منه قبل أوان موتهم ، فاذا ما عفا عنهم، غدا ذلك إحياءً لهم قبل يوم القيامة:

ولكِن هب خوفك في حشاهم هبوب الريحِ في رِجلِ الجرادِ

وماتوا قبل موتِهِم فلما منتت أعدتهم قبل المعادِ[22]

وكان الموت في شعر المتنبي طرفاً رئيساً في فن التشبيه من خلال المدائح التي أبدعها صاحبها، فممدوح أبي الطيب يبرز وكأنه مبغض للمال؛ بسبب كثرة بذله للناس نتيجة كرمه غير المحدود، وفي الوقت نفسه يبدو وكأنه – لكثرة خوضه الحروب– عاشق للموت، فجاء التشبيه معبّراً عن أمرين غاية في المدح، أَلَاوهما الكرم والشجاعة ، وذلك من خلال قول أبي الطيب:

كأنك في الاعطاءِ للمالِ مبغِض وفي كل حربٍ للمنِيةِ عاشِق[23]

ويتحلّى ممدوح المتنبي بصفات ايجابية عدّة ، يصورها الشاعر عن طريق التشبيه المؤكد، مبالغة في كثرة وقوعها في ممدوحه حتى صارت وإيّاه كاشيء الواحد، وكان الموت واحداً منها، فالممدوح – فضلاً عن الصفات الأُخر– كالموت على أعدائه، يقول:

إنما بدر رزايا وعطايا ومنايا وطِعان وضِراب[24]

واذا كان ممدوح المتنبي السابق عاشقاً للمنية، فان ممدوحه الآخر يبدو وكأنّ الموت لديه ضرب من الخلود، فيسعى إليه دوماً في الحروب التي يخوضها ، فضلاً عن كرمه المبالغ فيه:

كأنك بالفقرِ تبغِي الغِنى وبالموتِ في الحربِ تبغِي الخلودا[25]

ولاينسى المتنبي قوم ممدوحيه في مدائحه التي تتوافر فيها ألفاظ المنايا، فلهم نصيب لابأس به من ذلك المديح، بوصفهم قوم الممدوح الذي يتباهى به، مشيداً بصفاته الجيدة، ومنها الشجاعة التي لا تبتعد عن قومه أيضاً، بوصفهم ينمازون بصفات قائدهم الايجابية نفسها، تلك الشجاعة التي تجعل الموت يبدو كالأحمق في ساحة المعركة حين يواجههم، فلا يَسْلَم له رأي في لحظات تلك المواجهة ، ويظل حائراً أيتقدّم فيُقْتَل على أيديهم، أم يهرب فيدركونه وينالون منه أيضاً ؟

وفي لحظات الاختيار بين الرأيين، يكشف الشاعر عن قصده من قوله هذا بخصوص قوم ممدوحه، فهو لايريد سوى وصف شجاعتهم التي جعلت الموت المخيف خائفاً منهم ، الى الدرجة التي يتّهم بها الإقدام والهرب على السواء:

إن المنية لو لاقتهم وقفت خرقاء تتهِم الإقدام والهربا[26]

وهؤلاء الممدوحون بلغوا مرحلة متقدمة في الشجاعة؛ لأنهم يزدادون مجداً ورفعة إذا قُتِلُوا في سوح الوغى، فهم بذلك كالبدور التي تبلغ كمالها بمحاقها:

كل ذِمرٍ يزِيد في الموتِ حسناً كبدورٍ تمامها في المحاقِ[27]

وحتى الجبناء من قوم الممدوح،نراهم لايرهبون الموت؛ بسبب شجاعة قائدهم، وكثرة تمرّسه بالحروب واشتراكه فيها مع قومه، ونتيجة لذلك تعوّدوا لقاء الموت وتجرّؤوا عليه ، فلم يعودوا يخشونه، كما في قول أبي الطيب:

أضرت شجاعته أقصى كتائبه على الحمام فما موت بمرهوب[28]

وننتقل من مديح الأحياء الى مديح الأموات، وأعني أنّ المتنبي تطرق الى استثمار ألفاظ الموت في غرض الرثاء، ولا شكَّ في أنّ ذكر الموت في غرض الرثاء يشكّل حيّزاً طبيعيًّا، وليس كما في غرض المديح، الذي جاء فيه ذكر الموت ليُحدثَ مفارقة جميلة، كونه من الأمور التي يتشاءم الممدوحون من سماعها، غير أنّ المتنبي استطاع تغيير المفهوم هذا، وجعل ممدوحيه مسرورين بسماعهم لفظة الموت في قصائده التي مدحهم بها، بوساطة ابداعه في طريقة تشابك تلك اللفظة بالمديح كما رأينا،وحتماً فانّ ذلك لايتأتّى لأيِّ شاعر كما هو معروف، ولكنّ أبا الطيب يكاد يكون شاعراً نادراً في المجال هذا ؛ بسبب تميّزه بالابداع الشعري الذي عُرِفَ به، وتفوّق فيه على أقرانه من الشعراء.

كان موت والدة سيف الدولة مصاباً جللاً لدى أبي الطيب، إذ استعظمه بشدّة، مصوّراً إيّاه وكأنّ الناس لم يروا موتاً قبله، بسبب عظمة المرثية، قائلاً في موتها:

كأن الموت لم يفجع بنفسٍ ولم يخطر لِمخلوقٍ ببالِ[29]

وعلى الرغم من أنّ المنايا كانت تنتصر لسيف الدولة في المعارك، وتقتل له أعداءه، إلّا أنّها خانته في ابنه وقتلته، في الوقت الذي لايستطيع فيه الأب فعل شيء للحيلولة دون وقوع ذلك الموت:

تخون المنايا عهده في سليلِهِ وتنصره بين الفوارسِ والرجلِ[30]

لذا نجد أنّ المفارقة هذه تدعو أبا الطيب الى وصف الموت صفة ليست اعتيادية، أَلَا وهي تشبيهه إيّاه بالسارق الذي يفتقد سمات الأشخاص؛ لأنّه يصول بلا كفّ، ويسعى بلا رجل، فهو يسرق الأرواح من الأبدان من دون شعور المتعّرض له بصولته وسعيه، فلا يتمكّن من الاحتراس منه، أو الشعور بقدومه إليه:

وما الموت إلا سارق دق شخصه يصول بلا كف ويسعى بلا رِجلِ[31]

وعلى النحو هذا يتنقّل المتنبي في رثاء أهل بيت ممدوحه كلما اختطف الموت شخصاً منهم،وكان مبدعاً دوما– كعهده – في رثائهم ،وفي تصوير الموت المسؤول عن فقدهم واحداً تلو الآخر، فاذا كانت المنايا خانت ممدوحه بابنه في النص السابق، فانها غدرته في وقت آخر بأخته خولة، وبذلك فأنّ الموت لدى أبي الطيب يتصف بالخيانة مرة، وبالغدر مرة أخرى، لأنه كان دوماً من أنصار الممدوح، ويغتال نفوس أعدائه ويُسكتُ ضجيجهم ،ولكنه اليوم فجعه بأخته، يقول:

غدرتَ يا موت كم أفنيت مِن عددِ بِمن أصبت وكم أسكت مِن لجبِ[32]

أمّا حين يرثي الشاعر ابن عمّ ممدوحه سيف الدولة ، فنجده مشيداً بشجاعته من خلال ذكر الموت الذي اغتاله بلا قتال ، على الرغم من شجاعة ذلك المرثي، وبسالته في الحروب، غير أنّ المرض استطاع قتله، ولم يقتله الموت في احدى المعارك التي خاضها، مع أنّه كان يأنف من موته على الفراش، بسبب شجاعته، حتى أنّ الرماح كانت تتعثّر بصدره في الحرب، وخوضه أصعب الحروب وأشدّها وطأة حتى على الشجعان:

ما سدكت علة بمورودِ أكرم مِن تغلب بنِ داودِ

يأنف مِن ميتةِ الفِراشِ وقد حل به أصدق المواعيدِ

ومِثله أنكر الممات على غيرِ سروجِ السوابِحِ القودِ

بعد عِثار القنا بِلبتِهِ وضربِهِ أرؤسِ الصناديدِ

وخوضه غمر كل مهلكة للذمر فيها فؤاد رعديد [33]

وبما أنّ الرثاء ((يشير الى نبل الخلق والقصد)) [34] ، فقد كان المتنبي متحمّساً في رثائه لممدوحه السابق (فاتك)، الى الدرجة التي ذمّ فيها الزمن حين سمع بخبر موته، جاعلاً إيّاه (الزمن) متخذاً برقعاً من القبائح جميعها؛ لأنّه أخذ روح فاتك الشجاع، في الوقت الذي أبقى فيه على عدوّه كافور اللئيم، وذلك حين قال:

قبحاً لِوجهِك يازمان فإنه ... وجه له مِن كل قبحٍ برقع

أيموت مِثل أبي شجاعٍ فاتك ... ويعيش حاسِده الخصِي الأوكع [35]

وممّا لاسبيل الى انكاره، هو أنّ المتنبي كان مبدعاً في رثائياته التي ذكر فيها الموت جميعها، وذلك – قطعاً– نابع من مصدر الحزن الحقيقي الذي كان يشعر به حين نظمها، فقصيدة الرثاء ((تتساءل في وقت نظمها عن الدموع والتأوهات والأحزان التي ستثيرها حين إلقائها)) [36]، فضلاً عن العلاقة الوطيدة التي كانت تربطه مع أولئك الأموات بوصفهم ممدوحيه السابقين، أو مِمَّن تربطهم صلة قرابة مع أولئك الممدوحين، كما سبق وأنْ ذكرنا ذلك.

كما أفاد الشاعر من ألفاظ الموت في صياغة حكم مفيدة، عبَّر من خلالها عن حتمية الموت، وأنّه أمر لا مفرّ منه، فلا بدَّ أن يتجرّعه الجميع، سواء أكان برضاهم أم على الرغم منهم، فهو يرى أنّ البشر نازلون في منازل لايزال غراب البين ينعق فيها، ناذراً بالفرقة بوساطة الموت، فالملوك الذين ضاق الفضاء بجيوشهم سابقاً، أصبح مصيرهم النوم في القبور الضّيقة، حتّى أصبحوا لايجيبون مَنْ يناديهم ، لتوهمهم أنّ الكلام محرّم عليهم، لذا فانّ الموت آتٍ للجميع ، فعليهم ألَّا يغترّوا بما جمعوه من الدنيا؛ لأنه لا يدفع الموت عنهم، ومَنْ يفعل ذلك فهو أحمق من وجهة نظر أبي الطيب الذي يقول في ذلك كله:

أبني أبينا نحن أهل منازلٍ ... أبداً غراب البينِ فيها ينعق

نبكي على الدنيا وما من معشرٍ ... جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا

أين الأكاسرة الجبابِرة الأُلى ... كنزوا الكنوز فما بقِين ولابقوا

مِن كل من ضاق الفضاء بجيشِهِ ... حتى ثوى فحواه لحد ضيق

خرس إذا نودوا كأن لم يعلموا ... أن الكلام لهم حلال مطلق

والموت آتٍ والنفوس نفائس ... والمستغِر بما لديهِ الأحمق [37]

ويستغرب أبو الطيب من الناس ؛ لأنّهم لايعتبرون بالموت، فهم يعيشون ليدفنوا بعضهم بعضاً، ثم يمشون على رؤوس مَنْ دفنوهم غير آبهين بهم،وغير معتبرين:

يدفن بعضنا بعضاً وتمشِي ... آواخِرنا على هامِ الأوالِي [38]

ثم يردّد الشاعر المعنى هذا في مناسبة أخرى في شعره مع تطور الدلالة طبعاً، فالموت أتعب الأطباء وأعياهم، إذ لم يجدوا دواءً يمنعه من القدوم اليهم والى سواهم، وفي ذلك إرادة إلهية ، إذ لو عاش الذين سبقونا ولم يموتوا، لما كان هناك متّسعٌ لمن يأتي؛ لشدّة الزحام، فالحياة تقتضي موت السابق ومجيء اللاحق، كي لاتضيق الأرض بالناس:

وقد فارق الناس الأحبة قبلنا ... وأعيا دواء الموتِ كل طبيبِ

سبقنا الى الدنيا فلو عاش أهلها منعنا بها من جيئةٍ وذهوبِ (39)

فاذا كان الأمر بالشكل هذا، فلماذا نكره الموت الذي لابدّ لنا من الشرب من كأسه الذي شرب منه الذين سبقونا كلهم؟

نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لابد مِن شربِهِ (40)

إنّ الموت ينال الجميع، سواء أكانوا من الشرفاء في مناصبهم ، أم من الوضيعين في أعمالهم، وسواء أكانوا علماء أم جهلة، فالموت لاينجو منه أحد مهما كان موقعه ، فالراعي الجاهل يموت كما يموت الطبيب الماهر في تخصّصه، بل ربما يعيش ذلك الراعي عمراً أطول من عمر الطبيب الذي – بسبب علمه وادراكه– يظل قلقاً وخائفاً من الموت:

يموت راعي الضأنِ في جهلِهِ موتة جالينوس في طِبِّهِ

وربما زاد على عمرِهِ وزاد في الأمنِ على سِربِهِ (41)

وكما قد يترك الموت الراعي الجاهل ليعيش عمراً أطول من عمر الطبيب ، فانّه – أيضاً– قد يترك الشجاع الذي لايخافه، ويلقي بنفسه في المعارك، فلا يُنهي حياته، ويتّجه الى الجبان الذي يخشاه، فيقبض روحه ويُنهي حياته، وفي الحكمة هذه يقول الشاعر :

وقد يترك النفس التي لا تهابه ويختارِم النفس التي تتهيب (42)

ولعلّ أبا الطيب لم يتطرّق الى الحكمة الأخيرة، إلّا للدعوة الى خوض القتال مع الأعداء من دون تردّد أو وجل ؛ لتحقيق الغايات العليا التي كان ينوي تحقيقها بنفسه، وسنتحدّث عن ذلك بالتفصيل في موضع لاحق من البحث إن شاء الله تعالى.

ولم ينسَ أبو الطيب ألفاظ الموت حتى في غزله، فهي حاضرة في الغرض حضوراً لذيذاً ، على الرغم من قساوة دلالاتها ومعانيها الحقيقية؛ لأنّ المتنبي استثمرها استثماراً ايجابياً بما يتناسب وابداعه المعهود، ذلك الابداع الذي اقترن باسمه، فهو يفضّل الموت على فراق حبيبته، داعياً لها بعدم الابتعاد عنه؛ لأنّه لو حصل ما يخافه ، لأدركه الموت فزعاً من ألم الفراق، يقول:

الموت أقرب مِخلباً مِن بينِكم والعيش أبعد مِنكم لاتبعدوا (43)

واذا ما بقي الشاعر حيًّا بعد رحيل الحبيبة، فانّ ذلك لايعني أنّه قد سلاها، بل لأنه صبور على الشدائد، قادر على تحمّلها ، وفي الوقت نفسه، فانّ ذلك الفراق سيكون سبباً مباشراً لموته فيما بعد، فهو لايستطيع العيش بعد ابتعادها عنه:

وما عِشت مِن بعدِ الأحبةِ سلوة ولكنني للنائباتِ حمول

وإن رحيلا واحداً حال بيننا وفي الموتِ من بعدِ الرحيلِ رحيل (44)

كان احساس المتنبي عالياً في أبياته الغزلية السابقة، على الرغم من أنّه لم يُعْرَف بوصفه شاعراً غزلياً بالدرجة الأساس، إلّا أنّ ((الجمال الأدبي في الشعر أو النثر، إنّما يتوقف على شيء واحد فقط في موضوع الأدب، هو أنْ يكون ممتزجاً بالمشاعر، مختلطاً بالأحاسيس ، وأنْ يكون الأثر الأدبي ممثِّلاً للانفعال النفسي، مع وقائع الحياة أو خيالاتها))[45]، لذا فان مجرّد تذكّر الشاعر لأيام الصِّبا وأماكن الهوى في ديار الحبيبة، يجلب له الموت أو انه لشدّة وجده على فراقها، يقول:

ذِكر الصبى [كذا] ومراتعِ الآرامِ جلبت حِمامِي قبل وقتِ حِمامِي (46)

ويتنقّل المتنبي بألفاظ الموت من غرض الى غرض آخر، وفي المرة هذه نراه يستثمر تلك الألفاظ حين يكون في قمة الحماس في بعض قصائده التي يفتخر فيها بنفسه حتى وإنْ كان في معرض المديح لأحد ممدوحيه، ولاسيما إذا ما علمنا أنّ ذلك شيء اختصّ به الشاعر، فكثيراً ما كان يفتخر بنفسه أمام ممدوحيه، مشيداً بشجاعته بالدرجة الرئيسة ، فضلاً عن شاعريته وجودة شعره، فاللغة (وُضِعَتْ لا للتعبير عن المعنى فقط، بل كذلك عن شخصية الانسان الذي يستخدمها ومزاجه ومقاصده))[47]، فأبو الطيب يعاتب ممدوحه لأنه يساوي بينه وبين مَن هو أدنى مرتبة منه من ناحية جودة الشعر، مع علمه بشاعريته غير الاعتيادية ، ثم يتعجّب منه؛ لأنه يُنكر موت حساده، في الوقت الذي يُشبّه فيه نفسه بـ (سهيل) ، فهو ما إنْ يظهر حتى يموت أولئك الحسّاد من أولاد الزنا- حسب تعبير الشاعر نفسه- حسداً له، ذلك كله لم يكن لولا ثقة المتنبي بشعره الذي ظل يدافع عن جودته حتّى آخر لحظة من حياته، ويفتخر به جدّاً أمام ممدوحيه جميعاً:

وإن مِن العجائِبِ أن ترانِي ... فتعدِل بِي أقل مِن الهباءِ

وتنكِر موتهم وأنا سهيل ... طلعت بموتِ [أولادِ] الزناءِ [48]

إنّ شعور المتنبي العالي بالظلم، هو ما كان يدفعه الى نظم مثل تلك الأبيات، لأنّ ((أقدر الناس تعبيراً عن الشقاء مَن كان الشقاء في نفسه))[49]، فلو أنّ ممدوحيه قدّروه بما يتناسب وحجم المكانة التي وضعهم فيها، وجعلهم يرتقون في شعره الى أماكن عليا، لما لهج لسانه بمثلها ،ولما جعلها تتفجّر فخراً بنفسه وبشعره، فتُشعِل الحماس لدى متلقّيه حتى وإنْ كان غير صادق فيما يدّعيه، لأنّ ((المتكلم بلهجة انفعالية ينجح في إثارة شعور سامعيه ولو كانت حجّته فارغة))[50] ، لذا نجد أبا الطيب كثير الإدّعاء في المجال هذا، فهو يجد أنّ سيفه يأخذ رقاب الناس، فيسبقها الى الموت قبل حلول آجالها ،وذلك في قوله:

يسابِق سيفي منايا العِبادِ ... إليهِم كأنهما في رِهانِ [51]

أما فيما يخصُّ الشاعر نفسه، فنرى أنّ الموت يحذر منه، حتّى كأنّ الشاعر نفسه هو الموت بالنسبة إليه، فضلاً عن أنّ الأفعى تموت بسمّه إذا ما لسعته، ففي ذلك يقول:

يحاذِرنِي حتفِي كأني حتفه ... وتنكزنِي الأفعى فيقتلها سمي [52]

ونرى الشاعر هنا قد تجاوز الحدود كلها في المبالغة في إظهار شجاعته وشدّة بأسه، وربما كان ذلك كلّه صادراً من أعماقه الدفينة، نتيجة ضياع أحلامه الكبرى، وفشله في تحقيق أكثرها، فأصبح فخره بنفسه بالطريقة هذه معادلاً موضوعيًّا لأحلامه الضائعة في بحر من الوهم، وطموحه الذي بددته الأيام بمرورها السريع، وخذلانه من لدن أكثر الناس الذين التقى بهم، وطمح الى تحقيق غاياته من خلالهم.

ويبدو الأغرب من ذلك كلّه ، هو استخدام ألفاظ الموت في غرض الهجاء من لدن المتنبي، فقلّما يستخدم الشعراء لفظة الموت في الغرض هذا؛ لبعدها البعد كله عن مضمونه، إذ لامجال لذكرها فيه؛ لابتعاد الغاية في النيل من المهجو بوساطة ذكرها، في حين استثمرها الشاعر في هجاء (إسحاق بن كيغلغ) حين بلغه أنّ غلمانه قتلوه، عادًّا موته وحياته أمراً واحداً، فليس هناك مَنْ يأسف على فقده، إذ لايحدث أي خلل بموته ليشعر الناس بفقده، ثم يطلب الشاعر من الآخرين سؤال قاتليه: هل مات خوفاً منهم، أو مات بوساطة ضربهم له؟ فهو جبان لا يستطيع الردّ على مَنْ يعتدي عليه، لذا يعدّه الشاعر ميتا بسبب خوفه الشديد، وليس بسبب ضرب غلمانه:

قالوا لنا: مات إسحاق فقلت لهم ... هذا الدواء الذي يشفِي مِن الحمقِ

إن مات مات بلا فقد ولا أسف ... أو عاش عاش بلا خلق ولا خلق

[....]

فسائلوا قاتليه كيف مات لهم موتاً مِن الضربِ أو موتاً مِن الفرقِ[53]

غير أنّ هجاء المتنبي هنا كان هجاءً يسيراً إذا ما وازنّاه بهجائه لكافور، وذلك حين جعل الموت يأنف من قبض أرواح أمثاله بيده، وإنّما يلجأ الى فعل ذلك بوساطة عصا؛ بسبب قذارتهم من الخسّة واللؤم:

إني نزلت بكذابين ضيفهم عنِ القِرى وعنِ الترحالِ محدود

جود الرجالِ مِن الأيدي وجودهم مِن اللسانِ فلا كانوا ولا الجود

ما يقبِض الموت نفساً مِن نفوسِهِمِ إلا وفي يدِهِ مِن نتنِها عود[54]

ولعل صورة المتنبي الهجائية السابقة من أشّد لوحات الهجاء في الشعر العربي؛ لأنها صدرت عن شاعر عانى كثيراً على يد كافور من نكران للوعود ومخالفة للعهود التي قطعها على نفسه ليحظى بمديح المتنبي، تلك الوعود التي أمّله فيها، وجعله قاب قوسين أو أدنى من تحقيق آماله، ولكن سرعان ما اكتشف أن تلك الآمال الجسام لن تتحقق بسبب كذب كافور، ((فكلّ أثر أدبي إنّما هو مصور جميل لحالة نفسية، لابل هو مصدر شخصي تتكشف فيه دواخل الشاعر أو الأديب))[55]، فضلاً عن أنّ من ((مظاهر صدق التجربة الشعرية، قدرة الشاعر على نقلها نقلاً فنياً للآخرين ، حيث يولِّد في نفوسهم المشاعر والأحاسيس ، التي لا تختلف كثيراً عن مشاعره وأحاسيسه))[56].

وفي الوقت الذي يعلن فيه الشاعر عن شكواه من حسّاده، نلاحظ أنّه يستثمر لفظة الموت في شعره الذي يحمل دلالات تلك الشكوى منهم، فبعد أن يصرّح بأنّ ليله– وإنْ طالت مدّته– ليس أطول من النهار الذي يرى فيه حسّاده، يعلن أنّ الموت– عنده– ليس أبغض من الحياة التي يكون فيها لحسّاده نصيب معه في الحياة، وذلك في قوله:

ومالي بأطول من نهارٍ يظل بِلحظِ حسادِي مشوبا

وما موت بأبغض من حياةٍ أرى لهم معي فيها نصيبا[57]

إنّ موقف الشاعر هذا من حسّاده لم يكن ليصدر عنه لو أنهم لم يشكّلوا له همًّا جديداً يُضاف الى همومه التي أزعجته كثيراً، فكانوا أسباباً لتعاسته ولعدم تحقيق ما كان يصبو اليه، لذا فشعره في الحال هذه ((صورة ايقاعية ترسم ملامح شخصيته وتحدد معالم سجاياه إذ هو تمكّن من أنْ يعكس دواخله النفسية مصوغة بألفاظ هي غاية في الدقة والتحديد))[58].

وقد يستخدم الشاعر لفظة الموت استخداماً مجازياً، للتوصّل الى عتاب ممدوحه الأبرز (سيف الدولة)، لموقفه منه بعد أنْ تأخر مدحه له، فأصبح ذلك الممدوح لايبالي به كما كان سابقاً، ممّا جعل الشاعر يغرق خجلاً من ذلك الاهمال له، ولاسيما أنّ عدم المبالاة تلك كانت على مرأى من الناس ، فعاتبه بقوله:

أرى ذلك القرب صار أزورارا وصار طويل السلامِ اختِصارا

تركتنِي اليوم في خجلةٍ أموت مِراراً وأحيا مِرارا[59]

يبيّن الشاعر في البيتين كيف أنّ سلام ممدوحه الطويل أصبح مختصراً، دلالة على غضبه عليه، وكيف أنّ قربه منه صار عدولاً عنه وانحرافاً، ممّا عرّضه للخجل ممّن كانوا يرون ويسمعون، فأصبح يموت مراراً كلّما تذكّر إعراض ممدوحه عنه، فاذا زال التذكّر عاد للحياة من جديد، وهكذا كان يموت مراراً ويحيا مراراً في ذلك اليوم.

ومع استثمار المتنبي للفظة الموت في غرض العتاب، ينتهي حديثنا عن خطاب الموت في شعره الذي اتّصف بالتقليد ، ونعني بذلك ورود ذلك الخطاب في الأغراض الشعرية التقليدية، مع عدم إغفالنا لابداع الشاعر في طريقة تناول تلك اللفظة ، وقد كشفنا عن ذلك الابداع بالفعل في محلّه من البحث ، أمّا فيما سيأتي فسنتناول تعامله مع اللفظة نفسها للغايات العليا التي كان يردّدها دوماً في شعره، ويحلم بتنفيذها في عقله اللاواعي، ولاسيما في صباه ، كما سيتضح ذلك لنا فيما بعد.

توصل المتنبي بعد مجموعة كبيرة من التجارب التي سبر أغوارها عبر مدّة من الزمن، الى أنّ طموح الانسان حين يزداد كبرا، ويسعى الى تحقيق المُثُل العليا والأهداف السامية باستمرار، فان جسم ذلك الانسان سيشعر بالتعب الشديد من محاولات صاحبه في تحقيق طموحه الذي لاتحدّه الحدود، ولاتمنعه العقبات التي يواجهها ، قائلاً:

وإذا كانتِ النفوس كِباراً تعِبت في مرادِها الأجسام[60]

لذا نراه يرفض الظلم في كلّ حين، لأنّ نفسه تأبى إلّا العيش بعزّة وكرامة، فتدفع الذلّ بألوانه كلّها، مهما كانت الأسباب والنتائج، فهو يفتخر بأنه عزيز النفس في كلّ لحظة تمّر من الزمن، وببعد همّته، وجهاده في سبيل منع الظلم ودفعه عن نفسه، وبذلك يبدو وكأنه ينبّهنا الى أنّه في المرتبة العليا في الظروف المختلفة كلها:

فلا عبرت بي ساعة لاتعِزني ولا صحِبتني مهجة تقبل الظلما[61]

ومَنْ يكون تفكيره بالمستوى هذا، وطموحه بالصفات هذه، لايتأمل غير الأمور التي من الممكن أنْ تحقق غاياته ومراميه التي يسعى للوصول اليها، لذا فهو لايرهب الموت حين يكون سبباً يتوصل بوساطته الى أمانيه المشروعة، فنلاحظه مصرّحاً بشجاعته حين يكون في ساحة المعركة، فلا يهاب الموت اطلاقاً، ولكنّ نفسه تجبن من فراق أحبّته، بحسب قوله:

إني لأجبن من فِراقِ أحبتي وتحِس نفسي بالحِمامِ فأشجع[62]

وبما أنّه لايفكّر إلّا بالقتال وخوض المعارك، فهو ينبذ الخمرة ومجالسها، فيرفض شربها، لأنّها تعيقه عن تحقيق مبتغاه، فيصرّح بذلك في شعره، ويؤكد أنّ الحرب ألذّ من شرب ذلك المُنْكَر، ومن ضياع الوقت في معاطاة كؤوسها، فنفسه لاتشتهي شرب الخمرة، بقدر ما تشتهي رؤية الموت في أثناء خوضه المعارك ، فاذا تحقّقت أُمنيته في الموت على النحو هذا ، فكأنه عاش من جديد معيشة يرضى عنها، فتلك هي حياته الحقيقية:

ألذ مِن المدامِ الخندريسِ وأحلى مِن معاطاةِ الكؤوسِ

معاطاة الصفائحِ والعوالي وإقحامي خميساً في خميسِ

فموتي في الوغى أربي لأني رأيت العيش في أربِ النفوسِ[63]

وكان الموقف هذا من الخمرة يمثّل رأي الشاعر في أكثر الأحيان التي يعرض فيها بعض ممدوحيه عليه شرب الخمرة معهم، لأنه خرج بنتيجة مفادها أنّ الخمرة وضياع الوقت في شربها والتولع بمجالسها، ذلك كلّه يجعل الناس غير قادرين على تحقيق المطامح السامية، والأعمال الجليلة التي كثيراً ما كان الشاعر يجاهد من أجل الوصول إليها، لذا نسمعه في بعض الأحيان يشبّه غَلَبَةَ السكر على عقله بالموت، ومَنْ تذوّقَ طعم الموت مرة ، لايشتهي تذوّقه مرة أخرى ، قائلاً:

وجدت المدامة غلابة تهيج للقلب أشواقه

تسـيء مِـن المـرءِ تأديبـه ولكـن تحسـن أخلاقـه

وأنفـس مـا لِلفتـى لبـه وذو اللـب يكـره إنفاقـه

وقـد مـت أمـسِ بهـا موتـة ولا يشـتهِي المـوت مـن ذاقـه[64]

وبسبب موقف الشاعر هذا من الخمر، فضلاً عن دعوته الى تحقيق ما كان يروم تحقيقه من الأهداف الايجابية ، وجدناه يُشبِّه حياة الشباب اللاهين بالسكر ، فالسكران لايشعر بما يدور من حوله، وأولئك الشباب كذلك، فهم غافلون عن حقائق الأمور ، فاذا كانت حياتهم بالشكل هذا في زمن الشباب والقوة، وحينما يكبرون وتتقدم بهم السنون يغرقون في الهموم التي تتولّد مع الشيخوخة، فحياتهم إذن موت من وجهة نظره، فحالهم لاتختلف عن حال الأموات في أيّ شيء، وذلك كلّه أوجزه أبو الطيِّب في بيته الذي يقول فيه:

إذا كـان الشـباب السـكر والشيـ ـب همـا فالحيـاة هِـي الحِمـام[65]

إذن ، جاء رفض الشاعر شرب الخمرة، بوصفه نتيجة ايجابية بالنسبة للرافض، كونها تجعله غير مُدرِك لما يحدث من حوله حين شربها، ولاسيما اذا ما أدمن عليها، فهي من الأمور التي تُقيِّد الانسان وتجعله غير مهتم إلّا بالقضايا التافهة في الحياة، ويترك ما سوى ذلك من القضايا التي تحقق أهداف الشاعر في العيش بعزّة وكرامة، من خلال قتل الحكام الأعاجم، والعودة الى هيبة السلطان العربي، وذلك لايمكن أن يحدث مع شرب الخمرة، واللهو بمجالسها.

إنّ مَنْ يُنعم النظر جيّداً في اثناء قراءته ديوان المتنبي، سيجد أنّ الشاعر عقد علاقة شديدة الارتباط بين الموت والوصول الى الغايات العليا، أو أنّه يريد تحقيق طموحاته وأمانيه قبل ساعة موته، فمن ذلك مثلاً أُمنيته في النيل من أعدائه واراقة دمائهم قبل اليوم الذي تحين فيه ساعة مماته، وهو لايتحدث عن أُمنيته تلك بشكل اعتيادي، بل يُلقيها والحماسة تملؤه وتملأ ألفاظه وتراكيبه التي صاغ فيها رغبته هذه ، الى الدرجة التي يرغب فيها بشرب دمائهم من جوف الجروح على حدِّ قوله:

سـقانِي اللـه قبـل المـوتِ يومـاً دم الأعـداءِ مِـن جـوفِ الجـروحِ[66]

وبما أنّه يروم المجد والعلا في حياته، فهو يجعل الموت والحياة أمراً واحداً، إذ لافرق بينهما لديه؛ لأنّ مَنْ يطلب الشرف والمرتبة العالية، يُوطّن نفسه على الهلاك في أيّة لحظة، فيصبر عليه ولايُبالي بالموت متى ما أراد القدوم؛ لأنّه سيموت من أجل المجد والشرف ولاشيء سواهما:

ومن يبـغِ مـا أبغِـي مِـن المجـدِ والعـلا تسـاوى المحـايِي عِنـده والمقاتِـل[67]

وتزداد حماسة الشاعر، فاذا به يعزف لحناً خالداً أبد الدهر، وذلك حين يُنشد أبياتاً تتغنى بالشجاعة الى أبعد الحدود، حتى كأنها جمر يتوقّد، فيحرّك مشاعر الذين أصاب البرد دماءهم ، فلم يعودوا يشعرون بالذلة والمهانة التي يعيشون تحت وطأتها، فيدعو نفسه الى القتال ليموت كريما، فإنْ لم يفعل ذلك، فانه سيموت ذليلاً، لذا نجده يستحلي طعم الموت في الحال الأولى كما يحسُّ بذلك من ذاق العسل، قائلاً:

الـى أي حِـينٍ أنـت فـي زِي محـرمِ وحتـى متـى فـي شِـقوةٍ وإلـى كـمِ

وإلـا تمـت تحـت السـيوفِ مكرمـاً تمـت وتقـاسِ الـذل غيـر مكـرمِ

فثِـب واثِقـاً باللـهِ وثبـة ماجِـدٍ يرى الموت في الهيجا جنى النحلِ في الفمِ[68]

وعلى حدٍّ ظنّنا نرى أنّ الشاعر قد نجح في اثارة مشاعر متلقيه، من خلال ألفاظه في النص السابق، فضلاً عن اسلوبه المثالي في الاقناع، لاستنهاض الهمم التي جُبِلَتْ على الذّلّ والهوان، وذلك بفضل شاعريته الفذّة، فالتجربة الشعرية ((استقطاب لعدد من الانفعالات والأفكار ، وانتقاء لمجموعة من الألفاظ المشحونة والأساليب المكثفة، وهذه الألفاظ والأساليب تتوالد وتتراكب، وتجرّ صاحبها الى التذكّر والاستطراد والى التعليل والاستنتاج ، حتى الى اتخاذ موقف يتماشى والظروف التي تكتنفه، ويتلاءم مع وضعه وشخصيته))[69].

وثمة ملاحظة أخرى حول النص السابق نودّ تدوينها هنا، وهي اننا لاحظنا الشاعر حين كان ينظم شعره في حال الحماسة والانفعال، فأنه يلجأ الى تقليل أبياته، ولاسيما في مثل هذا النوع من الشعر، وأعني به حينما يرتبط ذكر الموت لديه بالغايات العليا، والملاحظة هذه يشترك فيها عدد آخر من النصوص التي تعنى بالهدف نفسه وليس ذلك بالأمر الغريب، لأنّ النظم حين يتم في ساعة الانفعال النفسي يميل الى التقليل من الأبيات كما يرى الدكتور ابراهيم أنيس.[70]

ولايزال خطاب الموت عامراً في شعر المتنبي، ومن ورائه قصد الغايات المثالية الراقية في مبادئها، فنحن لانزال نسمع صدى صوته حين يأمر مهجته بورود المهالك في الحروب، وترك الخوف من خوض المعارك للشاء والنعم؛ لأنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها ، نتيجة عدم ادراكها معنى الذّلّ والهوان، فهي لاعقل لها، أمّا الشاعر صاحب العقل الواعي المدرك لحقائق الأشياء، فانه يطلب حضور الحرب ليسيل دمه على الرماح ، وإنْ لم يفعل ذلك، فانه لايكون أخاً صالحاً للمجد والكرم ، يقول:

ردي حِياض الردى يانفس واتركي حِياض خوفِ الردى لِلشاءِ والنعمِ

إن لم أذركِ على الأرماحِ سائِلة فلا دعِيت ابن أم المجدِ والكرمِ[71]

وليس ذلك أمراً غريباً عن المتنبي، إذ عُرِفَ عنه عدم اكتراثه بالمشكلات التي أَلمَّتْ به، لذا نراه غير مُبالٍ بالنكبات ، فضلاً عن عدم جزعه من ملاقاة الموت اذا كان متضمناً العزّة، دافعاً عنه الظلم والذلّ، فها هو يقول مستنكراً:

أمِثلي تأخذ النكبات منه ويجزع مِن ملاقاةِ الحِمامِ[72]

من الملاحظ أنّ أكثر الأبيات والنصوص التي تحدّث فيها الشاعر عن شجاعته وإقدامه ، وأنّه لايهاب الموت، والتي يدعو فيها الى القتال وتحقيق الانتصارات على أعداء العروبة، قد قالها حينما كان في مُقتبل العمر، أي أنّه قالها في صباه، وإذا ما أردنا الدقة قلنا: إنّه قالها قبل التقائه بـ (سيف الدولة الحمداني)، فحين التقاه خفَّت عنده تلك النزعة في القول، والحماسة في النظم الشعري، ويبدو أنّ سبب ذلك يعود الى أنه وجد نفسه في شخصية ذلك الممدوح ، الذي قام فعلاً بما كان يحلم الشاعر به، ويدعو نفسه والآخرين الى القيام به.

ومن أشعاره التي تحتوي المعاني السابقة نفسها، قصيدة لايزال الشاعر فيها يقود الخيول الى سوح الوغى، ويستمر بقتل أعدائه حتى يسمع صياح النوادب عليهم، وهو لايفعل ذلك ويعتاد على القيام به إلّا لأنه غير خائف من السيوف والرماح التي قد تناله في تلك المعارك؛ لشرف الغاية التي يقاتل من أجلها، ولاسيما إذا علمنا أنه غير حريص على الحياة ؛ لقناعته بأنّ طول العمر وقصره سواء عنده، لذا فلا مسوّغ للحرص على العيش في الدنيا مادام الأمر على النحو هذا :

ولابد مِن يومٍ أغر محجلٍ يطول استِماعِي بعده للنوادبِ

يهـــون علـــى مثلِـــي إذا رام حاجـــة وقـــوع العـــوالي دونهـــا والقواضـــبِ

كثيـــر حيـــاةِ المـــرءِ مثـــل قليلِهـــا يـــزول وبـــاقي عيشِـــهِ مثـــل ذاهـــبِ[73]

ولايهدأ ذهن أبي الطيب إلّا حين يدخل في معترك الموت، وحين يقود الخيول الى الأعداء، فيسفك دماءهم جميعاً، سواء أكانوا بدواً أم حَضَراً، فعزمه كفيل بذلك:

أفكـــر فـــي معـــاقرةِ المنايـــا وقـــودِ الخيـــلِ مشـــرفةِ الهـــوادي

زعِـــيم للقنـــا الخطـــي عزمِـــي بِســـفكِ دمِ الحواضِـــرِ والبـــوادي[74]

والمتنبي لا يفعل فعلاً إلّا ويكون هدفه من ورائه تحقيق المجد، سواء أتحقق ذلك الهدف أو لم يتحقق، إذ يكفيه فخراً أنه سعى في سبيل المجد والعلا، ولم يتخاذل كغيره من معاصريه خوفاً من الرّدى، فهو يطلب حقّه بالرماح، فضلاً عن الرجال الذين لايفارقون الحروب، حتى كأنّهم أصبحوا مُرداً من كثرة تلثّمهم في الحروب، فلا تُرَى لحاهم، وهم – فضلاً عن ذلك – سريعوا الإجابة إذا ما دعوا للنجدة، ومع قلّة عددهم ، يحسبهم العدو من الكثرة لشجاعتهم وشدّة بأسهم في قتل أعدائهم، ومع ذلك كلّه يستعذبون طعم الموت إذا وقع عليهم كاستعذابهم طعم العسل، وذلك حين يدعوهم أبو الطيب الى القتال معه، في اشارة منه الى طاعتهم لأوامره، حتى لو كان الموت نتيجة حتمية لهم بسبب طاعتهم له وتنفيذ طلبه:

أقـــل فعـــالِي بلـــه أكثـــره مجـــد وذا الجِـــد فيـــه نِلـــت أم لـــم أنـــل جـــد

ســـأطلب حقـــي بالقنـــا ومشـــايخٍ كـــأنهم مِـــن طـــولِ مـــا التثمـــوا مـــرد

ثِقـــالٍ إذا لـــاقوا خِفـــافٍ إذا دعـــوا كثِـــرٍ إذا شـــدوا قلِيـــلٍ إذا عـــدوا

وطعـــنٍ كـــأن الطعـــن لا طعـــن عِنـــده وضـــربٍ كـــأن النـــار مِـــن حـــرهِ بـــرد

إذا شِـئت حفـت بـي علـى كـل سـابِحٍ رِجـال كـأن المـوت فـي فمِهـا شـهد[75]

إنّ ذِكْرَ المتنبي للرجال الذين يشدّون أزره في القتال، دليل على عدم أنانيته؛ فهو لايقتصر – في شعره – على الحديث عن نفسه والفخر بها فحسب، وإنما نراه مشيداً بجهود أصحابه وقومه، ذاكراً شجاعتهم في ساحات القتال، والصورة هذه تتكرر في موضع آخر من شعره بالمعاني السابقة نفسها، فبعد أنْ يشيد بنفسه من خلال تمرّسه بالحروب وشدّة ملازمته للرماح والسيوف، يذكر أصحابه الذين يناصرونه في تلك المعارك، حتّى كأنَّ القتل لديهم حاجة أو غاية ضرورية يتهالكون عليها، لذا يستقبلونه مبتسمين، وإذا سمعوا صهيل الخيل استخفّهم ذلك فكادوا يسقطون عن سروجها ،كناية عن نشاطهم وحيويتهم، ثم يعود الى الفخر بنفسه من جديد، فيرى أنّ الموت سيعذره حين يموت؛ لأنّه يكون حينها قد قُتِلَ في سبيل المعالي، فالموت لايرضى له العيش ذليلاً، فيقول:

وإن عمـــرت جعلـــت الحـــرب والِـــدة والســـمهرِي أخـــاً والمشـــرفِي أبـــا

بكـــل أشـــعث يلقـــى المـــوت مبتســـماً حتـــى كـــأن لـــه فـــي قتلِـــهِ أربـــا

قـــح يكـــاد صـــهِيل الخيـــلِ يقذِفـــه عـــن ســـرجِهِ مرحـــاً بـــالغزوِ أو طربـــا

فالموت أعـذر لـي والصـبر أجمـل بـي والبـر أوسـع والـدنيا لِمـن غلبـا[76]

وحين يفتخر الشاعر بنفسه فيما يخصّ قضية الموت وذكره في اثناء الحديث عن غاياته العليا، فانه يجعل المخاطر التي مرّ بها تتعجب منه متسائلة : هل مات الموت؟ لأنّه لم يُصِب الشاعر، وهل خافت

المخاوف؟ لأنها لاتخيفه ، وفضلاً عن ذلك نرى أبا الطيب يشبّه نفسه بالسيل القوي في إقدامه على الشدائد حتّى كأنّه يريد اهلاك نفسه وكأنّ له ثأراً عندها ،وذلك في قوله:

أطاعِن خيلا مِن فوارِسِها الدهر وحِيداً وما قولِي كذا ومعِي الصبر

وأشجع مِني كل يومٍ سلامتِي وما ثبتت إلا وفي نفسِها أمر

تمرست بالآفاتِ حتى تركتها تقول أماتَ الموت أم ذعِر الذعر

وأقدمت إقدام الأتِي كأن لِي سِوى مهجتِي أوكان لِي عِندها وِتر(77)

إنَّ ما تمّ الحديث عنه سابقاً، كان يمثّل موقف المتنبي نفسه من الموت، إذ صرّح أنّه لايهابه ولايخشى اقترابه منه إذا كان من أجل الأهداف النبيلة والمُثُل العليا، وفي الوقت نفسه افتخر في تلك النصوص بشجاعته وشجاعة قومه في خوض غمار المعارك التي يحاولون من خلالها تحقيق الانتصارات المتتالية على الأعداء، ومن ثم الاعلان عن نيل مطالبهم المشروعة في الحياة الكريمة غير المختلطة بالذلّ والمهانة التي اعتاد الكثيرون عليها في زمانهم.

أمّا فيما سيأتي ، فسنتحدثّ عن المضمون نفسه في شعر المتنبي ، وأعني بذلك ارتباط لفظة الموت بالغايات العليا التي يجب على الانسان تحقيقها من خلال خوض الحروب، وتحمّل مشاقّها وأهوالها ، ولكن في المرة هذه يتوجّه الشاعر في حديثه الى المتلقين ، فيخاطبهم بصراحة عالية، لزرع روح الشجاعة فيهم، وبثّ الحماسة في قلوبهم المرتعبة، بمعنى أنّه هنا لايتحدث عن بطولاته هو بقدر حديثه الموجّه الى الآخرين، محاولاً استنهاض هممهم التي اعتادت الذلّ والهوان، وأبو الطيب لم يقدم على فعله هذا لو أنّه لم يرَ ذلك واقعاً ملموساً حقيقة، فهو الذي رأى أنّ كثيراً منهم في زمانه كانت حياتهم كمماتهم ، ومماتهم كحياتهم، فكلا الحالين سواء، إذ لانفع فيهم، حتّى أنّه أنف الزواج بسببهم، خوفاً من أنْ يكون له نسل مثلهم في الحياة ، وذلك حين قال عنهم وعن موقفه منهم:

في الناسِ أمثِلة تدور حياتها كمماتِها ومماتها كحياتِها

هِبت النكاح حِذار نسلٍ مِثلِها حتى وفرت على النساءِ بناتِها(78)

لذلك توجّه إليهم الشاعر مباشرة، مخاطباً إيّاهم خطاباً صريحاً، لعله يستطيع تغيير واقعهم المؤلم، وكانت نظريته الرئيسة في محاولة اقناعهم هي أنّ الموت مما لاسبيل الى الهرب منه، وأنّه واقع لامحالة، فاذا كان كذلك، فلماذا يموت الانسان ذليلاً مهاناً؟ أَمَا كان الأجدر به أنْ يموت عزيزاً؟

إذن، من هنا انطلق خطاب المتنبي المباشر في مجتمعه ، فنكاد نسمع صوته حين طلب منهم العيش بعزّة، أو الموت بكرامة في الحرب، لأنه يدل على شجاعتهم ، فضلاً عن أنّ قتل الأعداء بالرماح أشفى لحقدهم، وعندما يموت الانسان على وفق نظرية الشاعر، فانه سيحقق ذكراً خالداً له عند الناس، على العكس منه فيما لومات ذليلاً في غير سوح القتال، فانهم لم يشعروا بفقده، ولا يهتمّون بموته، لعدم إقدامه على الأفعال الجيدة التي يذكرونه بها بعد موته.

وأبو الطيب لا يكتفي بالمقدار هذا من النصائح التي يوجّهها الى متلقيه ،وإنما يبتعد الى ما هو أكثر من ذلك بمسافات طويلة، فيطلب منهم السعي الى طريق العزّة والكرامة حتّى لو كانت في جهنّم ، في الوقت الذي يطلب منهم فيه الابتعاد عن طريق الذلّ والمهانة حتّى لو كانت في الجنة، وذلك لأنّ الجبن لايكون سبباً

لبقاء الانسان حيًّا ، فقد يموت الجبان ويبقى الشجاع الذي يخوض المعارك حيًّا، في محاولة من الشاعر لنهيهم عن التخاذل والجبن، وفي الوقت نفسه لتشجيعهم على الإقدام في الحروب، فيقول في ذلك كلّه:

عِـــش عزيـــزاً أومـــت وأنـــت كـــريم ... بـــين طعـــنِ القنـــا وخفـــقِ البنـــودِ

فـــرؤوس الرمـــاحِ أذهـــب لِلغيـــ ... ـــظِ وأشـــفى لِغِـــل صـــدرِ الحقـــودِ

لاكمـــا حييـــت غيـــر حميـــدٍ ... وإذا مـــت [مـــت] غيـــر فقيـــدِ

فاطلـــبِ العِـــز فـــي لظـــى وذرِ الذلـــ ... ـــ ل ولـــو كـــان فـــي جِنـــانِ الخلـــودِ

يقتـــل العـــاجزِ الجبـــان وقـــد يعـــ ... ـــجز عـــن قطـــعِ نخبـــقِ المولـــودِ

ويـــوقى الفتـــى المِخـــش وقـــد خـــو ... وض فـــي مـــاءِ لبـــةِ الصـــنديدِ[79]

فالشاعر – من وراء نصّه– يرفض الاستسلام مهما كان ثمن ذلك الرفض، فهكذا بُنِيَت شخصـيته، فهو ما يزال في صراع الواقع المأساوي الذي لايُرضيه، والطموح المشروع الذي يروم تحقيق آمالـه مـن خلاله، فمرد الهام الصراع لديه ((جموح عنان الطموح الى حدّ غدا معه مركباً من العلو يرفض به صاحبه الاقرار بالواقع والتسليم بالمفروض، فهو الهام شعري متمرد على الواقع، لايعرف الاذعان، لذلك كان قطـب الرحى فيه الرفض بكل [كذا] إيحاءاته))[80].

ويفيد المتنبي من المال في تحقيق نصائحه التي تتضمن خطاب الموت، بوصفه عاملاً رئيسـاً فـي تحقيق أمانيه العليا، فينصح مَنْ لم يتمكن من الثراء بالنهوض لتحقيق أمرٍ آخر غيره عن طريق الحرب وقتل الملوك وأشباههم ، فشعاره إمّا الثروة والمُلك، وإمّا الموت، فلا بُدَّ لأحدهما أنْ يُخلِّدَ صاحبه، قائلاً:

إذا لـــم تجِـــد مـــايبتر الفقـــر قاعِـــداً ... فقـــم واطلـــب الشـــيء الـــذي يبتـــر العمـــرا

همـــا خلتـــانِ ثـــروة أو منيـــة ... لعلـــك أن تبقـــي بواحِـــدةٍ ذِكـــرا[81]

أمّا إذا أراد الانسان المغامرة والمخاطرة بنفسه في سبيل الحصول على المرتبة الشريفة، فعليه أَلَّـا يقتنع باليسير، بل بما يجعله والنجوم في مرتبة واحدة، ولاسيما اذا ما علمنا أنَّ طعم الموت واحد، سواء أكان في طلب الأمور الصغرى، أم في طلب الأمور العظيمة:

إذا غـــامرت فـــي شـــرفٍ مـــرومٍ ... فـــلا تقنـــع بمـــا دون النجـــومِ

فطعـــم المـــوتِ فـــي أمـــرٍ صـــغيرٍ ... كطعـــمِ المـــوتِ فـــي أمـــرٍ عظـــيمِ[82]

وقد يستخدم أبو الطيب لفظة الموت استخداماً مجازياً، ليعبِّرَ بها عن الحياة الذليلة التي يحياها كثير من الناس ويرضونها، لأنّ الحياة على النحو هذا شرّ الميتتين لديه؛ لما فيها من تحمّل الذّلّ وفَقْدِ الكرامة:

تغـــر حلـــاوات النفـــوسِ قلوبهـــا ... فتختـــار بعـــض العـــيشِ وهـــو حِمـــام

وشـــر الحِمـــامينِ الـــزؤامينِ عِيشـــة ... يـــذِل الـــذي يختارهـــا ويضـــام[83]

أمّا الناس الأحرار الذين لايرضون بالذّلّ، فانهم يفضّلون المـوت علـى الحيـاة المتسـمة بالـذل والمختلطة بالهوان، ولاسيما أنّ الموت أمر مفروغ منه، فلا ينجو منه الجبناء، ولا الشجعان كذلك، فعدم سعي الانسان الى تحقيق طموحاته العليا – عن طريق خوض الحروب – يعدّ من عجزه وضعف همّته، ومن ثـم يموت متّصفاً بالجبن والعار:

غيـــر أن الفتـــى يلاقِـــي المنايـــا ... كالحـــاتٍ ولايلاقِـــي الهوانـــا

ولـــــو أن الحيـــــاة تبقـــــى لِحـــــي لعـــــــددنا أضـــــــلنا الشـــــــجعانا

وإذا لـــــم يكـــــن مِـــــن المـــــوتِ بـــــد فمِـــــن العجـــــزِ أن تكـــــون جبانـــــا[84]

وكانت النظرية هذه فلسفة الشاعر التي سار في دربها طوال حياته، ولاسيما في صباه، فهو مـــازال يكررها في مناسبات مختلفة مع اختلاف الزمان والمكان والغرض، غير أنّها اختفت من شعره حـــين التقـــى (سيف الدولة) كما ذكرنا سابقاً، ولكنها عادت اليه من جديد حينما التقى كافوراً الأخشيدي، كونه سبباً رئيســـاً في تلاشي أحلامه على بحر من الوهم، إذ سرعان ما بدأ بفلسفته هذه، مضمّناً إيّاها في شعره كمـــا فـــي أوّل حياته، فالموت – دوماً– أَلَذُّ من الذُّلّ، فهو أحلى من أيّ طعم يتّسم بالصفة هذه، إذا كانت الحياة التي يحياهـــا الشاعر، أو أي انسان غيره، مليئة بالذل واغتصاب الكرامة والطاعة العمياء لمن لايستحقّها.

وعِنـــدها لـــذ طعـــم المـــوتِ شـــاربه إن المنِيـــــة عِنـــــد الـــــذل قِنديـــــد[85]

ويتعجّب أبو الطيب – في أكثر الأحيان – مِمّن يرهبون الموت، وهم يعملون أنّه سيلاقيهم في يـــوم من الأيام، فَمن بالغ في سلم الموت كمَن بالغ في حربه من وجهة نظره، فكلاهما يصير الى الموت، لذا فهـــو يدعو على الجبان الذي يهاب الموت بعدم ادراك حاجته، قاصداً من وراء ذلك الدعاء، الدعوة الى الشـــجاعة والإقدام ومواجهة الموت ببسالة ، وذلك في قوله:

وغايـــــة المفـــــرطِ فـــــي سِـــــلمِه كغايـــــةِ المفـــــرطِ فـــــي حربِـــــه

فـــــلا قضـــــى حاجتـــــه طالِـــــب فـــــؤاده يخفِـــــق مِـــــن رعبِـــــه[86]

وبما أنّ شعار المتنبي الأزلي هو أنّ الموت في العِزّ أحبُّ إليه من الحياة في الذلّ:

ولحتـــفٍ فـــي العِـــز يـــدنو محِـــب ولعمـــرٍ يطـــول فـــي الـــذل قـــالِي[87]

فهو يعدّ الذي يغبط ذلك الذليل على عيشه ذليلاً مثله أيضاً؛ لأنّ الموت فـــي العِـــزّ – كمـــا ذكَـــرَ وذكرنا– أخفُّ من العيش في الذلّ الأزلي:

ذل مـــــن يغـــــبِط الـــــذليل بعـــــيشٍ رب عـــــيشٍ أخـــــف مِنـــــه الحِمـــــام[88]

هكذا كان خطاب الموت في شعر المتنبي ، فمنه ما كان تقليدياً ، ومنه ما سخّره للغايات العليا كمـــا ذكرنا، إذ استثمر ألفاظ الموت استثماراً ايجابياً في دعوته الى القتال والتخلّص من الذّل الـــذي عـــاش فيـــه معاصروه، الذين رضخوا للحكام الأعاجم من دون أنْ يحرّكوا ساكناً، ولكن هل نجح المتنبي في دعواته تلك؟

نرى أننا للإجابة عن التساؤل هذا بحاجة الى بحث دقيق، تتمّ فيه متابعـــة زمـــن انشـــاد شـــعره، وملاحظة تأثيره في معاصريه، ونتائج ذلك التأثير، من خلال قيمة الأفعال التي أدّوها، غير أنه يمكننا القول : إنّ أبا الطيب نجح في إثارة مناوئيه، بسبب مواقفه الشجاعة والجريئة التي تركته مقتولاً على أيدي شـــراذمة التاريخ، قطّاع الطرق، فيا للمفارقة الغريبة!

الهوامش

1. ينظر على سبيل المثال: البقـــرة/ 19 ، 94 ، 133 ، 180 ، 243 ، آل عمـــران/ 143 ، 168 ، 185 ، النساء/ 15 ، 18 ، 78 ، 100 ، المائدة/ 106 ، الأنعام/ 61 ، 93 ، الأنفال/ 6 ، هود/ 7، ابراهيم/ 17 ، الأنبياء/ 35 ، المؤمنون/ 99 ، العنكبوت/ 57 ، السجدة / 11 ، الأحـــزاب / 16 ، 19 ، سبإ / 14 ، الزمر/ 42، الدخان / 56 ، محمد / 20 ، ق/ 19 ، الواقعة/ 60 ، الجمعة/ 6 ، 8 ، المنافقون / 10 ، الملك / 2.

2. ينظر: التقدم في السن / 46.
3. الموت والعبقرية / 109.
4. شباب في الشيخوخة/ 23.
5. ينظر على سبيل المثال: ديوان أبي دلامة الأسدي/ 80 ، 83، ديوان بشار بن برد 1/ 278–279، 199/4، أبو العتاهية أشعاره وأخباره/ 21، 22، 38، 46، 57–58، 108، 113–114، 130، 133، 153 ، 155– 156، 157، 178، 188، 190 ، 202، 211–212، 214، 256، 259، 270، 272، 294، 317، 320، 350، 355، 380–381، 386، 387، 398، 405، 421، 628، شعر العتبي/ 54–55، 65، 66–67، 89، ديوان أبي تمام 4/ 79–84، 99، ديوان ابراهيم بن العباس الصولي/ 178، ديوان ابن الرومي 2/ 624–627، 631، ديوان أبي فراس الحمداني/ 65 ، ديوان ابن نباتة السعدي 1/ 198، ديوان التهامي/ 490 ، ديوان مهيار الديلمي 1/ 337، ديوان الشريف المرتضى 1/ 209 ، 382 ، سقط الزند/ 15، ديوان أسامة بن منقذ / 286، 300.
6. ديوانه 3 / 210.
7. م.ن 240/3 .
8. م. ن 240/2.
9. م . ن 4/ 157.
10. م .ن 125/2.
11. م . ن 221/3.
12. م. ن 178/1.
13. الأسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة / 177.
14. ديوانه 1/ 109.
15. م. ن 135/2.
16. م. ن 169/3، تغله : تهلكة وتذهب به، والغلول: الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة وكلّ مَن خان في شيء خفية فقد غلّ.
17. النقد الأدبي الحديث / 366.
18. ديوانه 76/4.
19. م.ن 240/1.
20. م.ن 1/ 144، يعاف: يمقت ويتحاشى، والورد: ورود الماء.
21. م. ن 1/ 217.
22. م. ن 58/2.
23. م. ن 65/3.
24. م. ن 183/1.
25. م. ن 63/2.
26. م. ن 173/1.
27. م. ن 78/3، الذِّمر: الرجل الشجاع.
28. م. ن 208/1، أضْرَتْ : من الضراوة، وهي الدربة والعادة.

29. م.ن 105/3.
30. م. ن 128/3، السليل : الوليد، والرَّجْل:جمع راجل، وهم المشاة.
31. م.ن 128/3.
32. م.ن 152/1، اللجب: الضجيج واختلاط الأصوات.
33. م.ن 269/1، سدك الشيء بالشيء:لزمه، القود: الطوال من الخيل، الغمر: الكثير.
34. النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي/110.
35. ديوانه 14/3، الأوكع في الأصل: الذي أقبلت ابهام رجله على السابة حتى يرى أصلها خارجاً كالعقدة، وأكثرما يكون ذلك في الإماء اللواتي يكددن في العمل.
36. الشعر والزمن/8.
37. ديوانه 55/3–56، الأُلى: أي الذين ، المستغر: المغرور.
38. م.ن 110/3.
39. م.ن 123/1.
40. م.ن 235/1.
41. م.ن 236/1، السرب : النفس.
42. م.ن 217/1.
43. م.ن 36/2.
44. م.ن 160/3.
45. دراسات في الأدب العباسي أورشفات من رحيق الأدب/ 224.
46. ديوانه 89/4.
47. النظرية الرومانتيكية سيرة أدبية/ 388.
48. ديوانه 98/1، الهباء :ما يُرى في شعاع الشمس من دقِّ الغبار، سُهَيل :نجم تزعم العرب أنه إذا طلع وقع الوباء في الأرض وكَثُرَ الموت.
49. فن الشعر / 48.
50. النقد الأدبي الحديث / 118.
51. ديوانه 4/ 238.
52. م.ن 4/ 126، نكزته الأفعى :لسعته بأنفها.
53. م.ن 72/3–73.
54. م.ن 101/2.
55. دراسة نفسية لشخصية المتنبي من خلال شعره/ 214.
56. رثاء الأبناء في الشعر العربي الى نهاية القرن الخامس الهجري/ 55.
57. ديوانه 188/1– 189.
58. دراسة نفسية لشخصية المتنبي من خلال شعره/ 240.
59. ديوانه 139/2، الازورار: العدول والانحراف.
60. م.ن 48/4.
61. م.ن 174/4.

62.م.ن 10/3.

63.م.ن 212/2 ، الخندريس:الخمر القديمة، الأرب: الحاجة.

64.م.ن 66/3.

65.م.ن 144/4.

66.م.ن 267/1.

67.م.ن 215/3.

68.م.ن 112/4.

69.التسلسل الايحائي تطبيق على قصيدة لأبي الطيب المتنبي / 295.

70.ينظر: موسيقى الشعر / 179.

71.ديوانه 120/4.

72.م.ن 122/4.

73.م.ن 195/1.

74.م.ن 54/2.

75.م.ن 64/2-65، بَلْهَ: اسم فعل بمعنى (دع)، السابح: الفرس السريع الجري.

76.م.ن 174/1-175، الأشعث: المُغبر من طول السفر ولقاء الحروب.

77.م.ن 178/2، الآفات: جمع آفة، وهي في الأصل العاهة،والمراد هنا:ما يصيب مَن يتصدّى للأخطار والمهالك من قتل وجراح، الأتي: السيل الذي لايرده شيء، الوتر الذحل والثأر.

78.م.ن / 249-250.

79.م.ن 33/2، البنود: الاعلام الكبيرة، وخفق البنود: اضطرابها، الغلّ: الحقد، نخبق: خرقة تقنع بها الرأس وتشد تحت الحنك، المخشّ : الجريء على الليل والدَّخّال في الأمور والحروب، وخَوَّض: بالغ في الخوض، واللبة: أعلى الصدر، وماؤها: دمها.

80.مفاعلات الابنية اللغوية والمقومات الشخصانية في شعر المتنبي/ 252.

81.ديوانه 2/ 154.

82.م.ن 4/ 180-181.

83.م.ن 83/4.

84.م.ن 274/4، كالحات: عابسات.

85.م.ن 104/2، القنديد: عصارة قصب السكر إذا جمد، وقيل: عصير عنب يطبخ ويجعل فيه أفواه من الطيب.

86.م.ن 236/1.

87.م.ن 227/3.

88.م.ن 160/4.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، أشرف المصادر واكرمها.

- أبو العتاهية أشعاره وأخباره، عُني بتحقيقها : الدكتور شكري فيصل ، طبعة محققة على مخطوطتين ونصوص لم تُنْشَر من قبل، مطبعة جامعة دمشق، 1384هـ - 1965م.
- الأسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة، تأليف: الدكتور مصطفى سويف، ط2، مزيدة ومنقحة، دار المعارف بمصر، 1959.
- التسلسل الايحائي تطبيق على قصيدة لأبي الطيب المتنبي، الدكتور عمر بن سالم، ضمن:المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس، الجمهورية العراقية،دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والاعلام، دار الحرية للطباعة – بغداد، 1979.
- التقدم في السن، د.عزة سيد اسماعيل، د.هالة أحمد العمران، د. حامد عبد العزيز العبد، د.محمد عبد المنعم نور، د. ابراهيم محمد أحمد خليفة، د. محمد خالد الطحان، د.كمال الدين عبد المعطي اغا، د.علي فؤاد أحمد، ط1، دار القلم، الكويت، 1404 هـ - 1984م.
- دراسات في الأدب العباسي أو رشفات من رحيق الأدب، تأليف : الدكتور عبد السلام سرحان،الناشر:مكتبة القاهرة، مطبعة الفجالة الجديدة- القاهرة، ط2، 1385 هـ - 1965م.
- دراسة نفسية لشخصية المتنبي من خلال شعره، د.عبد علي الجسماني، عبد الخالق نجم، بحث منشور في مجلة كلية الآداب /جامعة بغداد، ع37، 1410 هـ - 1990م.
- ديوان ابراهيم بن العباس الصولي، صنعة:ابن أخيه أبي بكر محمد بن يحيى الصولي الشِّطرنجي، نسخه وصحَّحه وخرّجه وعارضه:عبد العزيز الميمني، ضمن: الطرائف الأدبية، عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937.
- ديوان أسامة بن منقذ، حقّقه وقدّم له: الدكتور أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد ، عالم الكتب، د. ت.
- ديوان ابن الرومي،أبي الحسن علي بن العباس بن جريح، تحقيق: الدكتور حسين نصار ، ج2، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، طبعة ثالثة منقّحة، شارك في التحقيق: د.سيدة حامد، د.محمد عادل خلف، زينب القوصي، منير المدني، 1424هـ - 2003م.
- ديوان ابن نباتة السعدي، دراسة وتحقيق: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، وزارة الثقافة والاعلام- الجمهورية العراقية،دار الحرية للطباعة – بغداد ، 1397 هـ - 1977م.
- ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر، 1965.
- ديوان أبي دلامة الأسدي، إعداد : الدكتور رشدي علي حسن، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت ، دار عمار، عمان- الأردن، ط1، 1406هـ - 1985م.
- ديوان أبي فراس الحمداني، رواية: أبي عبد الله الحسين بن خالويه، عُني بجمعه ونشره: د. سامي الدهان، الاختيار والتقديم والشرح : أحمد عكيدي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 2004.
- ديوان بشار بن برد، تقديم وشرح وتكميل: محمد الطاهر بن عاشور، د. ط، د. ت.
- ديوان التهامي، شرح وتحقيق:الدكتور علي نجيب عطوي، منشورات : دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان، 1986.

- ديوان الشريف المرتضى، حقّقه ورتّب قوافيه وفسّر ألفاظه:رشيد الصفّار، راجعه وترجم أعيانه:الدكتور مصطفى جواد، قدّم له: الفقيه الأديب الشيخ محمد رضا الشبيبي، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان،ط1، 1418 هـ – 1998م.
- ديوان مهيار الديلمي، منشورات الشريف الرضي، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ط1، 1344هـ – 1925م.
- رثاء الأبناء في الشعر العربي الى نهاية القرن الخامس الهجري، الدكتور مخيمر صالح موسى يحيى، مكتبة المنار ، الزرقاء – الأردن، ط1، د.ت.
- سقط الزند،أبو العلاء المعري، دار صادر– بيروت، 1400 هـ – 1980م.
- شباب في الشيخوخة، د.أمين رويحة،دار القلم ، بيروت– لبنان، ط2، منقحة ومزيدة، 1972م.
- شرح ديوان المتنبي، وضعه : عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان ، ط2، 2007م.
- شعر العتبي، جمع وتحقيق: د. يونس أحمد السامرائي، منشور في مجلة كلية الآداب/ جامعة بغداد، ع36 ، مطبعة التعليم العالي– بغداد، 1410 هـ – 1989م.
- الشعر والزمن، جلال الخياط، منشورات وزارة الاعلام– الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة ، بغداد، 1975.
- فن الشعر ، ارسطو ، مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت– لبنان، ط2، 1973م.
- مفاعلات الأبنية اللغوية والمقومات الشخصانية في شعر المتنبي، عبد السلام المسدي، ضمن: المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والأعلام،دار الحرية للطباعة – بغداد، 1979.
- الموت والعبقرية ، عبد الرحمن بدوي، الناشر: وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلم، بيروت– لبنان، 1945م [تاريخ المقدمة].
- موسيقى الشعر، الدكتور ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، المطبعة الفنية الحديثة، ط4، 1972.
- النظرية الرومانتيكية سيرة أدبية، كولردج، ترجمة :الدكتور عبد الحكيم حسان، دار المعارف بمصر، 1971م.
- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة، 1969م.
- النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي ، ناصر الحاني، مطبعة بغداد، بغداد، 1955.